أديب الإسلام الأكبر

الافتتاحية:

ليس من المستغرب أن تصدر رابطة الأدب الإسلامي العالمية عددا مزدوجا خاصا بأديب الإسلام الأكبر في العصر الحديث وهو الأستاذ مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله- ، بالإضافة إلى الندوة التي أقامها عنه مكتب الرابطة في القاهرة. وذلك أقل ما ينصف به هذا الرجل العظيم الذي ظلم في حياته ، ولم ينصف بعد مماته .. مع ما كان له من دور كبير في الذود عن حمى الإسلام وحمى التراث ، وحماية حصوننا المهددة أو المهدمة من داخلها ، والمتربّص بها من خارجها .

ولقد كان الرافعي أمة وحده ، حين وقف أمام تيار التغريب الذي ما تزال الأمة تعاني من آثاره في حياتها الاجتماعية والسياسية والثقافية ، بما في ذلك الأدب العربي الذي كاد أن يستعجم بتأثير المذاهب الفكرية والأدبية الدخيلة التي أقبل عليها دعاة التغريب بكل ما فيها من إيجابيات وسلبيات ، وبكل ما فيها مما يصادم عقيدة الأمة ويتنكر لتراثها ، ويفسد لغتها وذائقتها ، ويهدد هويتها وأصالتها. ولنستمع إلى الرافعي يخاطب هؤلاء المستغربين فيقول:

« علم الله ما فتن المغرورين من شبابنا إلا ما يأخذهم من هذه الحضارة ، فإن لها في زينتها ورونقها أخذةً كالسحر ، فلا يميزون بين خيرها وشرها ، ولا يفرّقون بين مبادئها وعواقبها ، ثم لا يفتنهم منها إلا ما يدعوهم إلى ما يميت ، ويصدهم عما يُحيي ، وما يحول بينهم وبين قلوبهم ، فليس إلا المتابعة والتقليد » .

وكان الرافعي رائدا لأمته ، والرائد لا يكذب أهله ، فهو يبين لهم حقيقة الحضارة الغربية ، ويقرر أن هذه الحضارة أطلقت حرية العقل فتقدمت ، وأطلقت حرية الغرائز والأهواء فضلت وأضلت، وذلك حيث يقول : « فالحضارة الغربية أطلقت حرية العقول تجدد وتبتدع ، وأطلقت من ورائها الأهواء تلذّ وتستمتع وتشتهي ، فضربت الخير بالشر ضربة لم تقتل ، ولكنها تركت الآثار التي هي سبب القتل ، إذ لا تزال تمد مدها حتى تنتهي إلى غايتها ، وذلك هو السر في أنه كلما تقادمت الأزمنة على هذه الحضارة ضج أهلها ، وأحسوا عللا اجتماعية لم تكن فيهم من قبل ».

لقد كان الرافعي أمة وحده ، حيث وقف « تحت راية القرآن » يخوض معارك كثيرة لفضح التقليد الذي سمي بالتجديد ، وليكشف ما يدعو إليه بعض المجددين من حرية التكفير باسم حرية التفكير ، وليصحح مسيرة الأدب العربي حتى لاتنقطع صلة هذا الأدب بتراثه ولا يفقد أصالته ، ولا تشوّه لغته تحت شعار تسهيل اللغة وقواعدها ، أو يدعى إلى العامية بحجة صعوبة الفصحى وعدم صلاحيتها للحياة .

وكان الرافعي أمة وحده بفكره العميق، و بأسلوبه العلوي الرصين الذي يكاد يصل إلى حد الإعجاز على ما فيه من بعض الغموض ، وبكتبه التي كان يسابق بها عمره القصير بما فيها من أفانين الإبداع والنقد، وبأشعاره التي غطى عليها نثره الرفيع ، وكل ذلك رفعه بجدارة إلى أن يكون « أديب الإسلام الأكبر في العصر الحديث ».

رئيس التحرير